

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[744] بثلاث أجوبة منطقية هي : 1 - إن الموت والحياة بيد الأ على كلّ حال، وأن الخروج والحضور في ميدان القتال لا يغير من هذا الواقع شيئاً، وأن الأ يعلم بأعمال عباده جميعها : (وا الأ يحيي ويميت وا بما تعملون بصير). 2 - ثمّ إنكم حتّى إذا متم أو قتلتم، وبلغكم الموت المعجل - كما يحسب المنافقون - فإنكم لم تخسروا شيئاً، لأن رحمة الأ وغفرانه أعظم وأعلى من كلّ ما تجمعه أيديكم أو يجمعه المنافقون مع الاستمرار في الحياة من الأموال والثروات (ولئن قتلتم في سبيل الأ أو متم لمغفرة من الأ ورحمة خير مما يجمعون). وأساساً لا تصحّ المقارنة بين هذين الأمرين فأين الثرى من الثريا، ولكنه أمر لا مفر منه عند مخاطبة تلك العقول المنحطة التي تفضل أياماً معدودة من الحياة الفانية وجفنة من الثروة الزائلة على عزة الجهاد وفخر الشهادة. إنه ليس من سبيل أمام هؤلاء إلاّ أن يقال لهم : إن ما يحصل عليه المؤمنون عن طريق الشهادة أو الموت في سبيل الأ، أفضل من كلّ ما يجمعه الكفّار من طريق حياتهم الموبوءة، المزيجة بالشهوات الرخيصة وعبادة المال والدنيا. 3 - وبغضّ النظر عن كلّ ذلك فإن الموت لا يعني الفناء والعدم حتّى يخشى منه هذه الخشية ويخاف منه هذا الخوف، ويستوحش منه هذا الاستيحاش، إنه نقلة من حياة إلى حياة أوسع وأعلى وأجل وأفضل، حياة مزيجة بالخلود موصوفة بالبقاء (ولئن متم أو قتلتم لإلى الأ تحشرون). إن الجدير بالملاحظة في هذه الآيات هو جعل الموت في اثناء السفر، في مضاف الشهادة في سبيل الأ، لأن المراد بالسفر هنا هي تلك الأسفار التي يقوم بها الإنسان في سبيل الأ ولأجل الأ كالسفر وشد الرحال إلى ميادين القتال أو للعمل التبليغي، وذلك لأن الأسفار في تلك العصور كانت محفوفة بالمشاكل، ومقترنة